سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: ﴿٩﴾ **أمور تنافي التوحيد (١) الحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت ونحوها**

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٢٨/ربيع الأول/١٤٤٥هجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {٩} **أمور تنافي التوحيد (١) الحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت ونحوها**

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٢٨/ربيع الأول/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

أمور تنافي التوحيد

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، كان مما مضىٰ الحديث عنه بيانُ أهمية توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وبيانُ أقسامه وشيءٍ مما يتعلق به، وهكذا بيان خطر الشرك وضرره علىٰ الناس، وأنه سبب للهلاك في الدنيا وفي الآخرة.

وهناك أمور تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ من الأقوال والأفعال، ومعرفتُها من العلم الذي يجب علىٰ الإنسان أن يتعلمه؛ لأنه أساس الدين، والتنبيهُ علىٰ الأقوال والأفعال التي تخالف توحيد الله سبحانه وتعالىٰ هو من صميم دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- فقد كانت دعوتهم عليهم الصلاة والسلام في التحذير مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، وهذه الأمور منها ما ينافي التوحيد منافاة كُلِّيَّة ويُخرج صاحبه من الإسلام، ومنها ما ينافي كمال التوحيد الواجب ويُنقص الإيمان.

فمن الأمور التي تنافي التوحيد وهو من أكثرها فُشُوًّا بين الناس:

الحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ:

وغير الله يشمل كل من سوىٰ الله، سواء كان يحلف بالملائكة، أو بالأنبياء والرسل، أو بالآباء والأمهات، أو يحلف ببعض المخلوقات كالكعبة وغيرها، فالحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ ينافي توحيد الله -جل وعلا-.

والسبب في ذلك أن الحلف فيه تعظيم فالحالف لا يحلف بشيء إلا وهو يعظمه؛ لأن الحلف توكيد للأمر الذي يحلف عليه، فهو يريد أن يُصدِّقه الناس في ذلك الشيء الذي يحلف عليه، فمعناه أنه يذكر في حلفه ما هو مُعظَّم عنده، ولذا كان الحلف لا يكون إلا بالله بأسمائه وصفاته ولا يكون الحلف بغيره؛ لأن التعظيم الذي هو عبادة لا يكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ، فلهذا الأمر وهو ما في الحلف من التعظيم كان الحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ شركًا، لأنه تعظيم لغير الله بما لا يكون إلا لله.

والأصل في الحلف بغير الله أنه من الشرك الأصغر الذي هو أعظم الذنوب سوىٰ الشرك، فإذا صحب هذا الحلف تعظيم لغير كتعظيم الله كما يفعل بعض المشركين

يحلف ببعض الآلهات معظما لها كتعظيم الله فهذا من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه عن الإسلام.

وقد جاء في الشريعة النهي عن أشياء كثيرة من الحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ، فنهىٰ النبي ﷺ عن الحلف بالكعبة، جاء عند الإمام أحمد (٢٧٠٩٣) والنسائي (٣٧٧٣) عَنْ قُتَيْلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. -فسمىٰ اليهودي هذا الفعل شركًا ممن يقول: (والكعبة) أي يحلف بالكعبة- فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.

وهكذا جاء عند أحمد(٥٣٧٥) وأبي داود(٣٢٥١) والترمذي(١٥٣٥) وغيرهم أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سمع رجلاً يحلف بالكعبة، فقال له ابن عمر: لا تحلف بالكعبة فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

هكذا نهاهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يحلفوا بالآباء أو بالأمهات، جاء في الصحيحين عن ابن عمر قال: أَدْرَكَ النبيُّ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَعُمَرُ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ -وكان حديث عهد بالإسلام- فقال له النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**». قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا.[1] أي امتثل الأمر.

---

(١) رواه البخاري(٦١٠٨)، ومسلم(١٦٤٦ -١-).

وهكذا جاء عند أبي داود (٣٢٤٨) والنسائي(٣٧٦٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ**»، فنهاهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يحلفوا بالآباء أو بالأمهات، ومثله أن يحلف الإنسان بأولاده أو برأس أولاده أو بقبيلته أو بعشيرته كل ذلك مما ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

وهكذا نهاهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يحلفوا بالأنداد أي بالآلهات التي كانوا يعظمونها كما في حديث أبي هريرة المتقدم: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ**».

وجاء في صحيح مسلم(١٦٤٨ -٦-) عن عبدالرحمن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي ، وَلَا بِآبَائِكُمْ**». الطواغي والطواغيت هي الآلهات التي كانوا يعبدونها من دون الله، لأنهم طغوا فيها أي جاوزا فيها الحد، فكانوا من تعظيمهم لها يحلفون بها حتىٰ غن النبي ﷺ حذَّرهم من الحلف بهذه الآلهات وأمر من فعل ذلك أن يُجدد إسلامه، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ. فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».[1] أي إذا حلف بهذه الآلهة كفر وأمره الرسول ﷺ أن يقول: لا إله إلا الله، مُجدِّداً للإسلام.

يبين ذلك ما أخرجه الإمام النسائي وغيره أن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا نَذْكُرُ بَعْضَ الْأَمْرِ، وَأَنَا حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَحَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ، فَقَالَ لِي

---

(١) رواه البخاري(٦٣٠١)، ومسلم (١٦٤٧ -٥-).

أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، ائْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ، فَإِنَّا لَا نَرَاكَ إِلَّا قَدْ كَفَرْتَ. فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ لِي: «**قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تَعُدْ لَهُ**»[1]. فقال له أصحابه: (ما نراك إلا قد كفرت).

ولذا أمره الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بكلمة التوحيد التي تنفي هذه الآلهات من دون الله سبحانه وتعالىٰ، كم من الناس اليوم من يحلف بالآلهات؟ من يحلف بالأولياء؟ من يحلف بالمقبورين؟ بل مستعد أن يحلف بالله كذبا ولا يحلف بهؤلاء كذبا، إذا طُلب منه الحلف بالله وكان كاذبا قد يحلف لكن إذا قيل له احلف بهذه الآلهة، احلف بالأولياء، -مع أن أَمْرَه بذلك لا يجوز لأنه من الشرك- يمتنع أشد الامتناع لأنه يعظمها أشد من تعظيم الله، فهذا قد وقع في الشرك الأكبر.

هكذا نهىٰ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الحلف بالأمانة وتبرأ ممن فعل ذلك، ففي حديث بريدة عند أحمد(٢٢٩٨٠) وأبي داود(٣٢٥٣) أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ**

---

(١) أخرجه النسائي (٣٧٧٦) فقال أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ. وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس، أبو داود هو الحراني سليمان بن سيف، والحسن بن محمد هو ابن أعين، وزهير هو ابن معاوية، وقد أخرجه النسائي (٣٧٧٧) من طريق يُونُس بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَلَفْتُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ لِي أَصْحَابِي: بِئْسَ مَا قُلْتَ: قُلْتَ هُجْرًا ... الحديث. وهذه الطريق فيها تصريح أبي إسحاق إلا أنه لم يذكر اللفظ المذكور: (ما نراك إلا قد كفرت).

بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا». أي يأتي بالأمانة في سياق الحلف في سياق اليمين؛ لأن الأمانة مخلوق فكيف يحلف بمخلوق ويترك الحلف بالخالق؟

هكذا نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذَّرَنا من الحلف بملة غير الإسلام، كما يقول بعض الناس: إنه بريء من الإسلام إن فعل كذا وكذا، أو يقول عن نفسه: إنه يهودي أو نصراني إذا فعل كذا وكذا، فهذا مع أنه حلف بغير الله أيضًا تضمن البراءة من ملة الإسلام، ولذا جاء في الصحيحين عن ثابت ابن الضحاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ»**[1].

أي قال عن نفسه: هو يهودي أو هو نصراني وأكَّد بهذا الحلف علىٰ أمر من الأمور وهو كاذب فيه فهو كما قال، هو يهودي أو نصراني (من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال).

وجاء عند أحمد(٣٢٠٠٦) والنسائي(٣٧٧٢) عن بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ. فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ**، -أي بريء من الإسلام- **وَإِنْ كَانَ صَادِقًا لَمْ يَعُدْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ سَالِمًا**». حتىٰ لو كان صادقًا وقد تبرأ من الإسلام في حلفه فلن يعود إلىٰ الإسلام سالمًا.

كم من الناس اليوم من يحلف بمثل هذا اليمين؟ من يقول عن نفسه: إنه يهودي أو نصراني أو كذا وكذا من الألفاظ، أو هو بريء من الإسلام إن لم يكن هذا الأمر كذا

---

(١) رواه البخاري(٦١٠٥)، ومسلم(١١٠ -١٧٦-).

وكذا، فإن كان كاذبًا في ذلك الحلف فهذا خطير عليه لأنه أقرَّ علىٰ نفسه بالكفر، وإن كان صادقًا فقد أتىٰ أمراً محرمًا عظيمًا ولن يرجع إلىٰ الإسلام سالمًا.

فالحلف بغير الله بكل صوره محرم منهي عنه فلا تحلف بغير الله لا بالآباء ولا بالأمهات ولا بالأولاد ولا بالكعبة ولا بالطواغيت ولا بالأمانة ولا بملة غير الإسلام ولا تحلف بالشرف ولا بالعيش والملح ولا بالحياة ولا بالصداقة ولا بنحو ذلك مما يجري علىٰ ألسنة الناس وهو ينافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، إن مما ينافي التوحيد أيضاً:

تسوية غير الله بالله في المشيئة ونحوها من الأمور.

بأن يجعل الإنسان مشيئة أحد من الناس كمشيئة الله، مع أن الإنسان له مشيئة وأثبت الله تعالىٰ له المشيئة في كتابه، ولكن لا يجوز أن تُقرن مشيئة الإنسان بمشيئة الله، فلا يجوز أن يقال: (ما شاء الله وشاء فلان)، أو (ما شاء الله وشئت يا فلان)، أو (إذا شاء الله وشئت)، أو (إذا شاء الله وشاء فلان سيكون كذا وكذا)، كل ذلك مما نهىٰ عنه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ففي مسند الإمام أحمد(٢٧٠٩٣) وسنن النسائي(٣٧٧٣) عن قتيلة رضي الله عنها أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: (إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ)، هذا اليهودي سمع بعض الصحابة يقول هذه الكلمة، وكان هذا اليهودي عنده علم من الكتب السابقة، فقال: (إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ) أي تجعلون لله ندًّا (تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ.

وهكذا عند أحمد(٢٣٣٤٧) وأبي داود(٤٩٨٠) عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ. وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**».

وهكذا جاء عند أحمد(٣٢٤٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

جعلتني مساويـاً لله؟ تقرن مشيئتي بمشيئة الله بل ما شاء الله وحده.

وقد تبين من هذه الأحاديث أن هذه اللفظة لها ثلاثة أحوال:

الحال الأولىٰ: أن تكون محرمة وهي من الشرك بالله، وهي من التنديد أي مِنْ جَعْلِ ندٍّ مع الله -جل وعلا- أن يقرن مشيئة غير الله بمشيئة الله بالواو (ما شاء الله وشاء فلان)؛ لأن هذه الواو تقتضي المشاركة أي أن تكون مشيئة فلان من الناس مساوية لمشيئة الله، فهذا لا يجوز؛ لأن مشيئة الله تعالىٰ لا تساويها مشيئة.

والحال الثانية: أن يكون هذا اللفظ جائزاً وهو أن يعطفه عليه بثم (ما شاء الله ثم شاء فلان)، وثم تفيد التأخير، أي أن مشيئة فلان مؤخرة عن مشيئة الله، وهذا جائز.

والحال الثالثة: وهو الكمال والأفضل أن يقول: (ما شاء الله وحده) فيجعل المشيئة لله تعالىٰ وحده، وليس معنىٰ هذا أن المخلوق ليس له مشيئة، بل له مشيئة لكنه لا يقرنها بمشيئة الله.

فإذا كان هذا في المشيئة نهىٰ عنه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وسماه تنديداً فكيف بما هو أكثر من ذلك؟ كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (كيف بمن يقول: أنا متوكل علىٰ الله وعليك؟)، التوكل أعظم من المشيئة فكيف يقرن غير الله بالله تعالىٰ في التوكل عليه، أو يقول: (أنا في حسب الله وحسبك)، والحسب هو الكفاية، أو يقول: (ما لي إلا الله وأنت)، أو يقول: (الله لي في السماء وأنت لي في الأرض)، أو يقول: (هذا من

الله ومنك) أو (هذا من بركة الله وبركتك)، أو يقول: (أنا أرجو الله وأرجو فلانـًا)، كل ذلك كالمشيئة بل أشد[١].

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٢): (وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ الله ثُمَّ مَا شَاءَ فُلَانٌ**». وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ قُلْ مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ**».

وَفِي مَعْنَى هَذَا الشِّرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ قَوْلُ مَنْ لَا يَتَوَقَّى الشِّرْكَ: أَنَا بِالله وَبِكَ، وَأَنَا فِي حَسْبِ الله وَحَسْبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا الله وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى الله وَعَلَيْكَ، وَهَذَا مِنَ الله وَمِنْكَ، وَالله لِي فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ لِي فِي الْأَرْضِ، وَوَالله وَحَيَاتِكَ، وَأَمْثَالُ هَذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَجْعَلُ فِيهَا قَائِلُهَا الْمَخْلُوقَ نِدًّا لِلْخَالِقِ، وَهِيَ أَشَدُّ مَنْعًا وَقُبْحًا مِنْ قَوْلِهِ مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ.

فَأَمَّا إِذَا قَالَ: أَنَا بِالله ثُمَّ بِكَ، وَمَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتَ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ كَمَا فِي حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ: «**لَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ**». وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ الْإِذْنُ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ الله ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ). وانظر أيضا «زاد المعاد» (٢/ ٤٢٩)، و«إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٣٣).

وقال في «الجواب الكافي» ص(١٣٤): (وَمِنْ ذَلِكَ (أي من الشرك) قَوْلُ الْقَائِلِ لِلْمَخْلُوقِ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، كَمَا «ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ قُلْ مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ**». هَذَا مَعَ أَنَّ الله قَدْ أَثْبَتَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، كَقَوْلِهِ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [سُورَةُ التَّكْوِيرِ: ٢٨] .

فَكَيْفَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى الله وَعَلَيْكَ، وَأَنَا فِي حَسْبِ الله وَحَسْبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا الله وَأَنْتَ، وَهَذَا مِنَ الله وَمِنْكَ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَاتِ الله وَبَرَكَاتِكَ، وَالله لِي فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ. أَوْ يَقُولُ: وَالله، وَحَيَاةِ فُلَانٍ، أَوْ يَقُولُ نَذْرًا لله وَلِفُلَانٍ، وَأَنَا تَائِبٌ لله وَلِفُلَانٍ، أَوْ أَرْجُو الله وَفُلَانًا، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَوَازِنْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ. ثُمَّ انْظُرْ أَيُّهُمَا أَفْحَشُ، يَتَبَيَّنْ لَكَ أَنَّ قَائِلَهَا أَوْلَى بِجَوَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِقَائِلِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَهُ نِدًّا لِله بِهَا، فَهَذَا قَدْ جَعَلَ مَنْ لَا يُدَانِي رَسُولَ الله ﷺ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ - بَلْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْدَائِهِ - نِدًّا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ).

فإذا كان الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهىٰ عن قرن مشيئته هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بمشيئة الله وهو خير خلق الله فكيف يأتي إنسان يقول لأحد من الناس غير الرسول قد يكون من عصاة الناس يقول له ذلك: (أنا متوكل علىٰ الله وعليك)، أو (أنا في حسب الله وحسبك)، أو (ما لي إلا الله وأنت)؛ فهذا قد جعل غير الله مشاركًا لله سبحانه وتعالىٰ في هذه الأمور، وكما نهىٰ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن المشيئة فهذه أولىٰ بالنهي منها.

هذه أمور تنافي توحيد الله سبحانه وتعالىٰ مما يجري علىٰ ألسنة كثير من الناس ويجب عليهم اجتنابه والحذر منه، ولها بقية بإذن الله تعالىٰ في ذكر الأمور التي تنافي التوحيد من الأقوال والأفعال.

وفي ختام هذا المقام لا ننسىٰ أن ننبه إخواننا المسلمين علىٰ ما يحصل لإخوانهم المسلمين في بلاد فلسطين من اعتداء اليهود وظلمهم وتآمرهم علىٰ قتل المسلمين، وقد يتعاون اليهود مع أعوان لهم من الشيعة الرافضية في بلد فلسطين لضرب المسلمين السنة ولتمكين الرافضة وأمثالهم من ذلك البلد والضحية هم الشعوب المسلمة الذين يُقصفون ويُضربون ويُعتدىٰ عليهم بأشد أنواع الاعتداء في أيامنا هذه، فلا يغفل المسلم عن دعائه لإخوانه المسلمين في كل أحواله في سجوده وبين الأذان والإقامة وفي خلوته، عسىٰ الله تعالىٰ أن يستجيب دعاءه وأن يفرج عنهم.

وأيضًا هذه الحوادث -وأمثالُها كثيرٌ- تكشف للمسلمين شدة عداوة اليهود وسائر الكافرين للمسلمين، فوالله لا يريدون بقاء الإسلام ولا يريدون دوام الخير لأهله، بل يريدون طمسه ومحوه من أرجاء المعمورة، فكيف بعد ذلك يثق بهم المسلم أو

يحبهم أو يدعو للمؤاخاة لهم أو للتطبيع معهم أو للمحبة لهم؟ كل ذلك مما هو مخالف لكلام الله ومخالف لكلام رسوله ﷺ، بل مخالف للعقل السليم، إذ كيف يدعو إنسان لمحبتهم أو القرب منهم وهم في غاية الحقد والعداوة للمسلمين، كيف يدعو إلىٰ ذلك وهم ألد الأعداء؟

فنسأل الله -جل وعلا- القوي العزيز بقوته وعزته أن ينتقم من اليهود المعتدين.

اللهم عليك بهم يا قوي يا متين. **اللهم** عليك بهم فإنهم لا يعجزونك. **اللهم** انتقم منهم وأُخْذُهُم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم ادفع عن عبادك المسلمين المستضعفين. **اللهم** أنجِ المسلمين المستضعفين في كل مكان. اللهم أنجِ المسلمين المستضعفين في كل مكان.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين. **اللهم** أذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، **اللهم** قنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين.

٢٨ / ربيع الأول/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع